إيران وحزب الله في سياق معادلة الراعي والوكيل: هل الحزب تابع أو فاعل؟

طلحة إسماعيل دومان*

*جامعة سكاريا، تركيا.

ملخص: تناقش هذه الدراسة طبيعة علاقة حزب الله بإيران، هذا الحزب الذي يُعَدّ أكبر جهة فاعلة غير حكومية في الشرق الأوسط. حزب الله الذي شهد تحولات كبيرة منذ تأسيسه، من ناحية له علاقة خاصة مع إيران من خلال التزامه بعقيدة ولاية الفقيه، ومن ناحية أخرى يحاول إثبات أنه حزب محلي ووطني من خلال الحركة داخل حدود لبنان. في هذا السياق تركز الدراسة على مسألة مدى كون حزب الله تابعًا بسيطًا لإيران أو جهة فاعلة مستقلة في قراراتها. تظهر نتائج الدراسة أن حزب الله عنصر مستقل إلى حدّ كبير في قراراته المتعلقة بقضايا لبنان الداخلية، لكنه في الوقت الذي يحتفظ جزئيًّا بسلطته في القرارات الإقليمية، فإنه يتصرف بشكل عام وفقًا للعقل الإستراتيجي الإيراني.

الكلمات المفتاحية: إيران، حزب الله، الجهات الفاعلة غير الحكومية، الحرب بالوكالة، حرب غزة.

Iran and Hezbollah in the Context of the Sponsor and Proxy Equation: Follower or Actor?

TALHA İSMAİL DUMAN*

ORCID NO :0000-0001-7638-2082

*Sakarya University, Türkiye.

ABSTRACT: *This article discusses the nature of Hezbollah's relationship with Iran. Hezbollah, has a special relationship with Iran through its commitment to the doctrine of the Guardianship of the Jurist, and on the other hand, it is trying to prove that it is a local and national party through movement within the borders of Lebanon. In this context, the study focuses on the question of whether Hezbollah is a simple affiliate of Iran or an independent actor in its decisions. The study's results show that Hezbollah is largely independent in its decisions regarding internal Lebanon issues, but while it partially retains its authority in regional decisions, it generally acts in accordance with Iran's strategic mind.*

Keywords: *Iran, Hezbollah, non-state actors, proxy war, Gaza war.*

رؤيـــة تركيـــة
2024-(2/13)
79 - 96

DOI:10.36360/1560-013-002-006

مدخل

هناك العديد من النقاشات حول موقف الجهات الفاعلة غير الحكومية في الشرق الأوسط. وقد فتح تسارع الحروب بالوكالة مع مرور الوقت الباب أمام النقاشات بشأن طبيعة هذه الجهات الفاعلة لتكتسب بعدًا أوسع. وإن المقاومة التي أبدتها حماس ضد «إسرائيل» بوصفها جهة فاعلة مسلحة غير حكومية في عملية طوفان الأقصى، التي بدأت في 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، وحرب غزة اللاحقة- أكثر شمولاً وتأهيلاً من حيث نضال هذه الجهات ضد الدول أو الأدوار التي تتولاها داخل الدولة التي أثبتت أنه من الضروري معالجتها أكاديميًّا.

في واقع الأمر، يُعَدّ جلب دراسات جديدة حول حماس إلى الدراسات الأكاديمية في سياق حرب غزة نابعًا من ضرورة الاستجابة لهذه الحاجة. وقد أتاحت عملية طوفان الأقصى الفرصة لإعادة مناقشة حزب الله بوصفه فاعلاً آخر غير حكومي (دولاتي) في الشرق الأوسط، وفي هذا السياق، قدمت عملية طوفان الأقصى دافعًا جديدًا لتحليل هذه الحركة بكل أبعادها، سواء حول محيطها القريب أم خارجها. كما نجد أن الحزب نظّم اتصالات مع فصائل المقاومة الفلسطينية بالإضافة إلى علاقته الخاصة بإيران.

إن دراسة الجهات الفاعلة غير الحكومية في الشرق الأوسط، التي تقع غالبًا في نطاق فهم «الآخر»- تؤدي في الغالب إلى تفسيرات سطحية وقاطعة لهذه الحركات. إن جهد الفهم، الذي يجري في إطار أنماط ضيقة، يقتصر في الغالب على تصنيف هؤلاء الفاعلين، ومن ثَمّ فهو غير كاف لشرح ردود أفعال هذه الحركات عندما ينشأ وضع جديد غير عادي. على سبيل المثال، في أثناء تفسير أداء حماس على مدار سبعة أشهر في سياق حرب غزة وعلاقة أهل غزة بالحركة، يجري تسليط الضوء على الروايات التي تقول إن الحركة أنشأت معادلة جديدة تختلف عن الماضي. ومع ذلك، فإن هذا «الوضع الجديد» لم يكن مفاجئًا بالنسبة للأكاديميين الذين تابعوا حماس عن كثب طوال العملية التاريخية. لهذا السبب، يظهر في أثناء محاولة فهم الجهات الفاعلة غير الحكومية في المنطقة، أن عملية الفهم «الداخلية» والشاملة نسبيًّا ستجعل من الممكن التخلص من الأحكام المسبقة، وتمكننا من رسم توقعات أكثر صحة للمستقبل. وستظهر واحدة من أكبر فوائد اعتماد هذا النهج للأكاديميين عند التعامل مع حزب الله. إن وجود نصوص أكاديمية متناقضة بشكل شبه كامل فيما يتعلق بحزب الله لا يجعل من الصعب فهم الأنشطة السياسية والعسكرية للحركة فحسب، بل يمهّد الطريق أيضًا للعديد من التكهنات بشأن توجهات سياسته الخارجية.

يتولى حزب الله الذي دخل في معادلة القتال مع «إسرائيل» بعد يوم واحد من عملية طوفان الأقصى، إدارة جبهة جديدة منخفضة الوتيرة في حرب غزة بعملياته في شمال «إسرائيل» منذ 8 تشرين الأول/ أكتوبر 2023م. إن إنشاء غرف عمليات مشتركة مع فصائل المقاومة، وبخاصة حماس والجهاد الإسلامي، ودعم إيران في هذه الحرب- أدّيا إلى التشكيك مرة أخرى في موقف حزب الله السياسي في لبنان. وفي هذا السياق، يبدو من الضروري إعادة تحديد موقف حزب الله حول حجج قطبين متعارضين: «إنه تابع لإيران» و«إنه جهة فاعلة غير حكومية مستقلة تمامًا». وعلى هذا ستتناول الدراسة طبيعة علاقات حزب الله مع إيران وتأثيراتها في حرب غزة. وفي نطاق هذا البحث، وبعد التطرق بإيجاز إلى تأسيس حزب الله، ستجري دراسة إسهامات إيران في مراحل تأسيسه وتطوره، ومن ثم سيجري بحث تأثير إيران في أنشطة حزب الله العسكرية والسياسية والاقتصادية في سياق شعار «اللبننة». وأخيرًا، وفي إطار حرب غزة، ستجري مناقشة أسباب تفضيل حزب الله حربًا منخفضة الجرعة، وإن كانت مستقرة، بدلاً من الانخراط في حرب شاملة.

تأسيس حزب الله

وفقًا لآخر إحصاء رسمي (1932م) في دولة لبنان الحديثة، ظهر أن الشيعة يشكلون ثالث أكبر طائفة في البلاد بعد المسيحيين الموارنة والسنة. عاش الشيعة في لبنان فترة طويلة في وضع غير مؤات من حيث التمثيل السياسي. كان على السكان الشيعة، الموزعين جغرافيًّا في مناطق وادي البقاع وجنوب لبنان، الاكتفاء بالتمثيل السياسي للإقطاعيين الذين يُطلَق عليهم اسم: «الزعيم/ الزعماء»، وهم معزولون عن الآليات السياسية. شهد المجتمع الشيعي، الذي جرى تقسيمه إلى نخبة اقتصادية (زعماء)، ونخبة دينية (علماء)، وعمال/ مزارعين/ أصحاب متاجر صغيرة حتى الخمسينيات من القرن الماضي- علاقات قوة جديدة تحدّت النخب التقليدية مع موجة الهجرة إلى المدن التي بدأت في الخمسينيات، وبلغت ذروتها في الستينيات. كما جرى زرع البذور الأولى للموجة الجديدة من العلماء، الذين انتقدوا الموقف غير الحساس للعلماء التقليديين تجاه التطورات الاجتماعية والسياسية، في هذه الفترة.[1] كما جاء إلى لبنان في هذه الفترة (1959) الإمام موسى الصدر، مؤسس أفواج المقاومة اللبنانية، وصاحب التأثير الفكري في ظهور حزب الله. وكما فعل موسى الصدر- أكمل محمد حسين فضل الله، الذي كان يتمتع بشخصية ثورية وناشطة تختلف عن العلماء التقليديين، تعليمه في مدارس النجف في منتصف الستينيات وعاد إلى لبنان، مما دعم ميل الشباب الشيعي إلى التحول نحو الجماعات الإسلامية.[2] إن التعليم الديني الذي تلقاه العديد من الشباب الشيعة اللبنانيين

في النجف في السبعينيات تجاوز التعليم الديني العادي، ووفر الأساس لتشكيل حركة جديدة من حيث الوعي السياسي. في الفترة نفسها، أسهم في هذه العملية أيضًا الناشطون الإيرانيون الذين استقروا في لبنان بسبب قسوة نظام الشاه وقمعه. ويُعَدّ مصطفى جمران، الذي كان له الأثر الكبير في إرساء أسس حزب الله، أحد هذه الأسماء. لذلك، كان لعنصري وجود الشخصيات التي دعمت عملية الثورة الإسلامية في إيران والعلماء الذين قاموا بتعليم الشباب في العراق بمصطلحات دينية نظرية دورًا مهمًّا في تنظيم الشيعة في لبنان وابقائهم في مجال الجماعات الإسلامية.[3]

يعرّف أمل سعد غريب حزب الله بأنه «المظهر التنظيمي لحركة دينية تعود جذورها إلى الستينيات».[4] وخلافًا للعديد من الدراسات التي ترمز إلى البداية غير الرسمية لحزب الله في عام 1982، فإن هذا التعريف مهمّ؛ لأنه يوضح أن الحركة ترتكز على قاعدة اجتماعية، فهي لم تتشكل في فراغ أو في إطار ظرفي مؤقت. على الرغم من أن «الأسباب التكميلية» مثل الثورة الإسلامية في إيران أو الغزو الإسرائيلي للبنان كانت ذات أهمية حاسمة في ظهور حزب الله، إلا أن اعتبارها نقطة انطلاق يجعل من حزب الله حركة خلق تصورا غير دقيق مفاده أن حزب الله وجد كحركة مسلحة فقط. ومع ذلك، كان لدى حزب الله رؤية لمشروع تنظيمي واسع النطاق مستوحى من الصحوة الإسلامية في علم الاجتماع الشيعي، لكنه أصبح مرئيًّا بوصفه «حركة مسلحة» بسبب الحرب الأهلية اللبنانية، والانشقاقات في حركة أمل بعد موسى الصدر، وضرورة لإنتاج رد ملموس على الاحتلال الفعلي.

ويؤكد جوزيف الآغا، الذي يتميز بدراساته عن حزب الله، أن «حزب الله أُسِّس عام 1978 -بدعم أيديولوجي من إيران- على يد شرائح مختلفة من رجال الدين والكوادر الشيعية اللبنانية بوصفه حركة إسلامية في سياق اجتماعي وسياسي».[5] بمعنى آخر، حزب الله حركة اجتماعية ظهرت على أنّها تابع لحركة الصحوة الإسلامية بقيادة الصدر وفضل الله، بعد أن انزعجت من تغير طاقم العمل واتجاهاته بعد اختفاء موسى الصدر في ليبيا عام 1978. لكن بسبب الظروف التي يعيشها لبنان، أصبح الحزب معروفًا بطابعه المسلح قبل هويته الاجتماعية؛ وأصبح طابعه الاجتماعي والسياسي أكثر وضوحًا في الفترة الأخيرة، وبعد الحرب الأهلية.

وفي واقع الأمر، بحسب الآغا، «في الفترة ما بين 1984 و1991، أصبح حزب الله حركة اجتماعية كاملة من حيث وجود تنظيم واسع وبنية وأيديولوجيا تهدف إلى التغيير الاجتماعي والعدالة الاجتماعية».[6] وكانت العوامل التي برزت إلى الواجهة في ظهور

حزب الله كحركة بديلة لحركة أمل هي اختفاء موسى الصدر في ليبيا، واحتلال «إسرائيل» الأراضي اللبنانية، والثورة الإسلامية في إيران.[7] بعد اختفاء الصدر، أصبحت الاتجاهات العلمانية هي المهيمنة في حركة أمل، وهذا أدى إلى إزعاج القاعدة الإسلامية والكوادر العاملة داخل الحركة، ونتيجة لذلك، ظهر العامل التنظيمي الذي جعل إنشاء حزب الله ممكنًا.

"الثورة الإسلامية في إيران أحد العوامل البنيوية التي أسهمت في تسريع إنشاء حزب الله والمنظور الثوري الذي بدأ يظهر في الفكر الإسلامي الشيعي في جلب صحوة إسلامية إلى لبنان"

تُعَدّ الثورة الإسلامية في إيران أحد العوامل البنيوية التي أسهمت في تسريع إنشاء حزب الله. إن المنظور الثوري الذي بدأ يظهر في الفكر الإسلامي الشيعي في الستينيات، والذي ألغى التمييز بين الدين والسياسة، ووجد استجابة ملموسة في إيران- كل ذلك جلب موجة الصحوة الإسلامية التي بدأها الصدر وفضل الله في لبنان إلى مفترق طرق جديد.[8]

إن الافتقار إلى منظور متجانس داخل حركة أمل، وتفضيل برّي السياسة العلمانية عندما تولى قيادة حركة أمل ما بعد الصدر- قد وفرا الأساس للمجموعات المختلفة المتعاطفة مع الثورة الإسلامية للالتقاء على قاسم مشترك آخر مع مرور الوقت. وحقيقة أن هذا القاسم المشترك أصبح بنية فعلية قد تحققت من خلال عامل هيكلي آخر، هو سياسة الاحتلال الإسرائيلية واسعة النطاق التي بدأتها في عام 1982.[9] ونتيجة لذلك، وَضعت مجموعاتٌ -مثل حركة أمل الإسلامية التي أنشأها الإسلاميون داخل حركة أمل، وحزب الدعوة الإسلامية، واتحاد الطلاب الإسلامي، واتحاد علماء المسلمين- خلافاتها جانبًا، واتحدت على المعايير الدينية والسياسية الأساسية الثلاثة الآتية، وأنشأت حزب الله رسميًّا في 1985. وذُكِرت عدة مبادئ في التأسيس، هي: أ) الإسلام هو المحدّد الوحيد للعقيدة والاتجاهات السياسية والنظرية للحركة، ب) التمسك بنظرية ولاية الفقيه؛ وقرارات ولي الفقيه ملزمة لجميع الأطراف. ج) المقاومة ضد «إسرائيل» وإنقاذ لبنان من الاحتلال أمر ضروري.[10] وهكذا جرى اختيار تسعة ممثلين: ثلاثة منهم علماء من منطقة البقاع، وثلاثة منهم أعضاء في حزب الدعوة الإسلامية، والثلاثة الآخرون أعضاء في حركة أمل الإسلامية، وصدر النصّ المسمّى: «وثيقة التسعة». ومع قبول هذا النص المقدّم إلى آية الله الخميني، الولي الفقيه في تلك الفترة، ألغت جميع المجموعات تنظيماتها، وبنت هيكلاً جديدًا يُسمّى «حزب الله».[11]

وفي حين أن اقتراح هوية ثورية ضد التفاهم الشيعي التصالحي (أمل) يشكل تحديًا في حد ذاته، فإن محاولة القيام بذلك مع طاقم مؤسسي شاب جدًّا تطلب جهدًا إضافيًّا من جانب حزب الله. ومن المهم في هذه المرحلة تأكيد الدعم الأيديولوجي والمادي الذي قدمته إيران؛ لأن حزب الله، الذي أكمل عملية تأسيسه في ظرف مثل الاحتلال الإسرائيلي، تمكن من تشكيل وحداته العسكرية بفضل التدريب العسكري للحرس الثوري الإيراني، كما أتيحت له الفرصة لتوسيع مؤسساته الاجتماعية والوصول إلى الجمهور، مع الدعم المالي الذي تلقاه من إيران. ومن هذا المنظور، سيكون من المناسب الإشارة إلى أن حزب الله لم يكن ليكون لاعبًا فعالاً في عملية تأسيسه لولا الدعم الأيديولوجي والمادي من إيران.[12]

طبيعة العلاقات بين إيران وحزب الله في لبنان

إن وضع لبنان بوصفه دولة ضعيفة منفتحة جدًّا على تأثير الجهات الخارجية، جعل جزءًا كبيرًا من الأحزاب السياسية تستفيد من الدعم الاقتصادي والسياسي من الدول الأخرى، بوصف ذلك جزءًا من المنافسات العالمية والإقليمية.[13] وقد صُنِّف حزب الله على أنّه الفاعل المحلي الذي يتلقى أكبر قدر من المساعدات الخارجية في البلاد، من خلال الدعم المالي والسياسي واللوجستي الذي تلقاه من إيران وسوريا منذ تأسيسه. ووفقًا لديفور وستاهلي، فإن الجهات الفاعلة غير الحكومية التي تتقدم بطلب للحصول على رعاية دولة أخرى تحصل على وسائل راحة مختلفة، ولكنها قد تسبب أيضًا بعض القيود. وفي هذا السياق، فإن فرصة توظيف موظفين مؤهلين من أجل تلبية الرواتب بانتظام ومواصلة أنشطة المساعدات الاجتماعية تُعَدّ الميزة الأساسية للمساعدات الخارجية. وقد جرى إدراج الفرص الأخرى التي توفرها هذه الجهات الفاعلة من علاقات الرعاية على النحو الآتي: أ) سهولة شراء الأسلحة، ب) إنشاء عمليات صنع قرار فعالة من خلال إنشاء مناطق إيواء آمنة، ج) توفير الشرعية على المنصات الدولية من خلال الدعم السياسي، د) توفير دعم الكفاءة التنظيمية.

في هذا السياق، «سوف تهدر الجماعات الموارد وتسيء استخدام السلاح عندما تكون ثقافتها التنظيمية مليئة بالفساد والمحسوبية؛ و»إذا لم تتمكن المنظمة من تنمية رأس المال البشري، فستظل المعدات المتقدمة غير مستخدمة أو يساء استخدامها.»[14] وهكذا، يشرح ديفور وستاهلي فعالية الجهة المسلحة غير التابعة للدولة من حيث كرم راعيها والصفات التنظيمية للجهة المتلقية. وعلى سبيل المثال، على الرغم من تلقيه كميات مماثلة من المساعدات الخارجية، استخدم حزب الله الدعم المالي والسياسي

واللوجستي من إيران بالطريقة الأكثر كفاءة، على عكس أداء منظمة التحرير الفلسطينية المعروفة بالفساد والمحسوبية.

بمعنى آخر، على الرغم من أن الرعاية الإيرانية كانت شرطًا ضروريًّا لنمو حزب الله، إلا أنها لم تكن وظيفة كافية في حد ذاتها لضمان النجاح السياسي والعسكري للحركة، وكانت الثقافة التنظيمية لحزب الله ونوعية موظفيه المؤسسين حاسمة في المكانة التي حققتها في لبنان.[15]

وبحسب الكاتب أحمد نزار حمزة، فإن موازنة حزب الله تعتمد على أربعة مصادر للدخل. وتشكل المساعدات المالية من إيران أهم هذه الموارد. ويقال: إن النفقات العسكرية ليست متضمنة في المساعدات المقدمة الإيرانية، التي تتراوح بين 100 مليون دولار ومليار دولار سنويًّا.[16]

وعلى الرغم من الادعاءات بأن هناك تخفيضًا كبيرًا في هذه المبالغ خلال إدارتَي رفسنجاني وخاتمي، باعتبار أن مصدر المساعدات هو المنظمات والجمعيات الخيرية التابعة مباشرة لولي الفقيه آية الله علي خامنئي، إلا أن ذلك لا يبدو مرجحًا جدًّا. وفي هذا السياق، يرى بيرتي أن «حزب الله لا يزال أكبر منظمة ترعاها الدولة في العالم، وكانت الأموال الإيرانية حاسمة في إنشاء المنظمة والحفاظ على عملياتها، وأدّت دورًا حاسمًا في دعم أنشطتها العسكرية وسياساتها الاجتماعية والسياسية».[17]

من ناحية أخرى، اكتسب حزب الله خبرة مؤسسية مع مرور الوقت في تنويع موارده المالية (مرة أخرى من خلال الأشخاص والشركات ذات التفكير المماثل) بخلاف المساعدات الإيرانية، وحاول الحفاظ على علاقاته المالية مع إيران على مستوى «التبعية النسبية» بدلاً من «الاعتماد الكامل» منذ إنشائه. في واقع الأمر، حتى في بيان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الصادر عام 1985، ذُكر أنه على الرغم من أن نمو الحركة سيتباطأ إذا توقفت إيران عن دعم حزب الله، إلا أن حزب الله يمكنه تلبية احتياجاته المالية بمفرده.[18] إن التركيز الذي نقف عليه هنا على حقيقة أن حزب الله لم يطور علاقة تبعية كاملة هو لتفسير اختيارنا للنهج المتمثل في أن وكالة حزب الله لديها أيضًا القدرة على التصرف ضمن هذا العامل الهيكلي، بدلاً من القراءة البنيوية لـ«الرعاية الإيرانية». وبخلاف ذلك، لا يمكننا أن نتجاهل أن دعم إيران المنتظم لحزب الله يوفر للحركة الفرصة لوضع خطط كلية طويلة المدى بدلاً من الأهداف والإستراتيجيات قصيرة المدى القائمة على التجربة والخطأ.[19]

استفاد حزب الله، إلى أقصى حد من الدعم المالي الذي قدمته إيران؛ بسبب توجهاته الأيديولوجية، كما استفاد أيضًا بشكل كبير من الدعم العسكري والسياسي الذي لا يقل فعالية عن الفرص الاقتصادية. على الرغم من أن الحركة، التي تلقت تدريبًا عسكريًّا مباشرًا أو غير مباشر ودعمًا بالمعدات من إيران منذ تأسيسها، زادت من «مستوى الحكم الذاتي المحلي» في العديد من المجالات على مر السنين- إلا أنها استمرت دائمًا في الحفاظ على اتصال وثيق مع إيران فيما يتعلق بالعلاقات العسكرية.[20] وفي حين أن الدعم الإيراني يشكل متغيرًا مهمًّا في الحرب ضد «إسرائيل»، وهذا أحد أسباب وجود حزب الله، فإن الدعم المقدّم لحزب الله يصبح أيضًا ذا معنى لأنه يوفر لإيران وجودًا استراتيجيًّا في شرق البحر الأبيض المتوسط. إن تعزيز قوة حزب الله في لبنان والحد من نفوذ الغرب و«إسرائيل» في هذا البلد له وظيفة حاسمة ليس فقط فيما يتعلق بأهداف حزب الله، بل وأيضًا في نجاح إستراتيجية إيران الإقليمية. ولهذا السبب «تحولت العلاقة بين إيران وحزب الله مع مرور الوقت إلى علاقة اعتماد متبادل».[21] وساد وضع مماثل أيضًا في سياق العلاقات مع سوريا. وكانت سوريا، التي قدمت الدعم اللوجستي لحزب الله برعاية إيرانية، بمثابة الضامن لمنع استمرارية تزايد سلاح حزب الله وتقييد نشاطه السياسي مع وجوده في لبنان بعد اتفاق الطائف. ومن ناحية أخرى، فإن علاقات حزب الله الإستراتيجية طويلة الأمد مع إيران أصبحت ممكنة بفضل الموقع الجيوسياسي لسوريا، في حين كانت سوريا بمثابة طريق عبور مهم لشحنات الأسلحة.

وفي المقابل، كما يقول الصولي، خدم حزب الله أكثر من غرض لنظام الأسد في سوريا. أولاً، إن قدرة حزب الله على الحفاظ على موقفه الحربي ومواصلة الضغط على «إسرائيل» وداعميها الغربيين وفّر كل ذلك للأسد ميزة سياسية ودبلوماسية. ثانيًا، أدى وجود حزب الله وأنشطته إلى إحباط إستراتيجية تطويق سوريا من قبل خصومه الإقليميين. وأخيرًا، فإن دعمها لجماعات المقاومة الفلسطينية مكّن سوريا من إسباغ الشرعية على نفسها باعتبارها «قلعة الممانعة» على المستوى المحلي وضمن الديناميكيات السياسية العربية.[22] ولذلك، فإن علاقة حزب الله مع سوريا كانت على مستوى «التبعية المتبادلة» لا «التبعية الكلية». في واقع الأمر، فإن حزب الله، الذي يفسر وقوفه ضد الإطاحة بإدارة الأسد بإن الإطاحه به تعمل على تعزيز «إسرائيل» في المنطقة وتلحق الضرر بخططه الإستراتيجية، ولذلك قام بمخاطرة كبيرة وانخرط في الحرب الأهلية السورية.

كما أن الموقع الإستراتيجي الذي يتخذه حزب الله ضمن نطاق «محور المقاومة» الذي تقوده إيران، كان فعالاً أيضًا في الحصول على دعم مالي وسياسي دائم للحركة. كما أدّى حزب الله، الذي يؤدّي دورًا مهمًّا في تدريب جماعات المقاومة الفلسطينية ودعمها، دورًا رائدًا في تنظيم شحنات الأسلحة من إيران إلى فلسطين.

كلَّف هذا المحور الذي يقوم على رفض الهيمنة الأميركية والإسرائيلية في المنطقة، حزب الله بوظيفة مهمّة هي حل الانقسام الشيعي- السني على قاعدة «المقاومة».[23] وعلى الرغم من أن حماس جرى وضعها بوصفها لاعبًا سلبيًّا في هذا المحور لفترة من الوقت بسبب الحرب الأهلية السورية، الأمر الذي أثار تساؤلات حول وظيفة المحور وموقف حزب الله، إلا أن مشاركة حماس النشطة الأخيرة في العملية أدت إلى تغييرات في العلاقة مع سوريا. وبهذا السياق عزز نطاق دور حزب الله المحلي والإقليمي ضرورة دعمه. وفي هذا السياق، وفي أثناء إقامتها الفعلية في لبنان، لم تسمح سوريا بالبقاء على قدرات حزب الله العسكرية فحسب، بل كان عليها أيضًا أن تمهد الطريق بشكل غير مباشر لسبل توسيع هذه القدرة تحت ضغط إيران إلى حد كبير. وهذا النهج، الذي يؤثر أيضًا في نطاق الدعم السياسي، دفع حزب الله إلى تشكيل «ائتلاف 8 آذار» المعروف باسم التحالف الموالي لسوريا وإيران، الذي خدم مصالح «محور المقاومة» بعد انسحاب سوريا من البلاد عام 2005. وبالمثل، دعمت إيران حزب الله بكل أبعاده، ليس فقط في سياق الصراع ضد «إسرائيل»، ولكن أيضًا لأنها تراه في موقع حاسم بالنسبة للإستراتيجيات الإقليمية الأخرى لـ«محور المقاومة».[24] ويفسر النائب عن حزب الله حسن عز الدين طبيعة علاقات الحركة مع إيران وسوريا على النحو الآتي: لم تطلب إيران قط من حزب الله أن يقول: نريد منكم أن تفعلوا هذا أو ذاك. على سبيل المثال، عندما

قاومنا، قال البعض: إن العملية التي نفذناها كانت لخدمة الأجندة السورية. هذا ليس صحيحًا على الإطلاق. هذه المقاومة لم تقم قط بتنفيذ عملية لأجندة جهة أخرى طوال تاريخها... كان حزب الله ينفذ عمله بعناية منذ البداية، ويقوم بالبحث والقراءة اللازمة، وفي النهاية يفعل كل ما في وسعه لمصلحة لبنان والناس. العلاقات مع إيران وسوريا هي علاقات إستراتيجية. لولا إيران لما وصلت المقاومة إلى ما وصلت إليه اليوم. نحن لا ننكر هذا. ولولا دعم سوريا في معركتنا ضد العدو، لما حققت المقاومة هذا النجاح. ولذلك فإن هذه الحركة تفتخر بكونها حليفًا لسوريا وشريكًا إستراتيجيًّا لإيران. لكن هذه العلاقة لا تعني أننا نعتمد على إيران. علاقتنا مع إيران هي علاقة إستراتيجية. إضافة إلى ذلك، لدينا تواصل مع السلطة الدينية. وهذا الوضع لا يؤثر في هويتنا الوطنية وهويتنا اللبنانية. «نحن فخورون بأننا أبناء هذا الوطن».[25]

استغل حزب الله، الذي نجح في استغلال نقاط الضعف التي كشفت عنها بنية الدولة اللبنانية، الدعم الذي تلقاه من إيران وسوريا ليتمّ قبوله بوصفه «لاعبًا سياسيًّا قويًّا» لا يمكن التشكيك في «أجندة مقاومته» و«أسلحته». وعلى عكس العديد من الجهات اللبنانية التي تحظى برعاة خارجيين، فإن تعزيز موقع حزب الله في البلاد يرتبط بحجم وطبيعة الدعم الذي يتلقاه، فضلاً عن امتلاكه هيكلاً تنظيميًّا مؤهلاً يحول هذا الدعم بكفاءة إلى مكاسب. من ناحية أخرى، فإن الحركة، التي حصلت على «استقلالية» نسبية في علاقتها بسلطة ولاية الفقيه في إيران خلال هذه العملية، طبقت «سياسة الانفتاح» التي تأخذ في الاعتبار الأوضاع المحددة للسياسة والمجتمع اللبناني، بدلاً من إقامة علاقة عمياء مع إيران.

وفي هذا السياق، يقال: إن حزب الله اكتسب -على مر السنين- موقعًا أكثر استقلالية في عمليات صنع القرار فيما يتعلق ببعض القضايا العسكرية والأيديولوجية، فضلاً عن القضايا السياسية.[26] ومن الأمثلة الحديثة على ذلك إطلاق سراح نزار زكا، المواطن الأميركي من أصل لبناني، في إيران. زكا، الذي اعتُقِل في إيران عام 2015 بتهمة التجسس لمصلحة الولايات المتحدة، أُطلق سراحه عام 2019 بوساطة حزب الله.[27] وفي هذه العملية، ذُكِر أن حزب الله، بوصفه لاعبًا محليًّا في السياسة اللبنانية، أظهر الرغبة في إطلاق سراح زكا، على الرغم من اعتراضات إيران، واستخدم موقفه الخاص هنا. ومع ذلك، فإن ارتباطه الإستراتيجي مع إيران يمكن أن يضع حزب الله في بعض الأحيان في موقف صعب فيما يتعلق بتحديد أولويات أهدافه. وكما هو الحال في قرار التدخل في الحرب الأهلية السورية، فإن الحركة، التي واجهت معضلات يصعب شرحها للجمهور المحلي بين هويتها باعتبارها «فاعلاً مسلحًا إقليميًّا» و«فاعلاً سياسيًّا محليًّا»، ضمت مكونات إقليمية ومحلية، توجب عليها النجاح في مهمة التنسيق بينها.[28]

لن يكون من الخطأ القول: إن حزب الله، الذي يحاول الموازنة بين هذين الدورين، قد أزال جزئيًّا اتهامات منافسيه بأنه «يستخدم السلاح أساسًا لسلطته السياسية» في ممارساته السياسية. لكن يبدو من المحتم أن هذا الظرف، الذي يسمح به عامل الدولة الضعيفة، سيواجه معوقات كبيرة إذا تغير النظام السياسي في لبنان في المستقبل القريب. وكإجراء احترازي، تستفيد الحركة، التي تستخدم المساعدات الخارجية التي تتلقاها بكفاءة لمحاربة «إسرائيل» والحفاظ على قاعدتها الخاصة- بشكل غير مباشر من دعم الرعاة؛ لتعزيز علاقات التحالف التي تحافظ على خطوطها الحمراء، وتعزز دورها السياسي طويل الأمد في البلاد.

وبالطبع، هذا لا يعني أن حزب الله سيفقد كل وظائفه في لبنان إذا حُرِم من المساعدات الاقتصادية والسياسية الخارجية لأي سبب من الأسباب. ورغم أن هناك احتمالاً كبيرًا لتراجع كبير في قوة حزب الله في مثل هذا السيناريو، إلا أن التعليقات التي تقول: إنّه سيتحول إلى لاعب سلبي تمامًا في المشهد السياسي اللبناني لا تبدو واقعية للغاية. ولذلك، سيكون من الأدق القول: إن المعادلة التي خلقت ظرف السلطة اليوم، مع التأثير المضاعف للمساعدات الخارجية- مبنية على «الفرص الفريدة» التي خلقت حزب الله كلاعب محلي. لكن، رغم كل شيء، لا بد من القول: إنه، خلافًا للهوية المستقلة التي يكشف عنها حزب الله في قراراته المتعلقة بالسياسة الداخلية في لبنان، فهو في علاقة تبعية مباشرة مع إيران في القضايا الإقليمية.

موقف حزب الله في سياق حرب غزة

حاول حزب الله، الذي انضم إلى عملية طوفان الأقصى بعد يوم من وقوعها إبقاء هذه الحرب عند مستوى معين، رغم أنه فقد حوالي 350 جنديًّا في الحرب ضد «إسرائيل». ورغم أن حزب الله يعدّ القتال ضد «إسرائيل» أحد دوافعه الرئيسة، إلا أنه اتخذ خيارات عقلانية آخذًا في الاعتبار الظروف الوطنية والإقليمية والدولية. وفي هذا السياق، من ناحية تصرف بحذر في إطار إستراتيجية «إسرائيل» المتمثلة في جر إيران إلى الحرب، ومن ناحية أخرى، حاول رسم خريطة طريق متوازنة، مع الأخذ في الاعتبار الصعوبات السياسية والاقتصادية التي يعيشها لبنان. لذلك، فإن أيديولوجيا حزب الله (التزامه بدعم كفاح الشعب الفلسطيني) والسياق المحلي/ الإقليمي (الأزمة السياسية والاقتصادية في لبنان، واختلافات اللاعبين الداخليين في فهم المصالح الوطنية، وتجنب حرب إقليمية على الرغم من رغبة «إسرائيل» في جر إيران إلى الحرب)، تشكل حصيلة خياراته، ولن يكون من الخطأ القول: إنه كان في معضلة بين اختياراته.

ويبدو أن هناك رأيًا عامًّا بأن حزب الله، بوصفه فاعلاً سياسيًّا لبنانيًّا، يضع خططًا عقلانية. وفي هذه المرحلة، حتى سمير جعجع، زعيم حزب القوات اللبنانية، أحد أكبر معارضي حزب الله، يعترف بأن إيران تتخذ قرارات الحزب في القضايا الإستراتيجية، لكن معظم القرارات المتعلقة بقضايا لبنان الداخلية تتخذها أجهزة حزب الله نفسها.[29] لذلك يمكن القول: إن حزب الله الذي يحاول منع لبنان من خوض حرب مع «إسرائيل»، يمر بواحدة من أسوأ الفترات في تاريخه، يأخذ في الاعتبار عاملين يمكن التعبير عنهما بـ«الشرعية الداخلية» و«موقف حلفائه السياسيين» من التدخلات الخارجية؛ إلى درجة أنه حتى في أثناء انخراطه في الحرب الأهلية السورية، التي تُعَدّ إستراتيجية للغاية بالنسبة لإيران، سلطت الحركة، آخذة في الاعتبار الرأي العام المحلي، الضوء على شعار «أمن لبنان في خطر» كإطار لإستراتيجية، وفي سياق التهديد الذي يشكله داعش، فقد حظي بدعم جزء كبير من الجماعات الشيعية والمسيحية على حد سواء. بالإضافة إلى ذلك، فإن حزب الله، الذي بنى «الشرعية الداخلية» بإرسال مقاتلين إلى سوريا بدعم من بعض السنة والدروز، حصل أيضًا على دعم حركة أمل والتيار الوطني الحر باعتبارهما المكونات الرئيسة لتحالف 8 آذار.

ومع ذلك، وفي سياق حرب غزة، لم يتمكن حزب الله من بناء «شرعية داخلية» لفتح جبهة كاملة القدرة ضد «إسرائيل»، ولا يبدو أن حلفاء حزب الله مستعدون للوقوف وراء مثل هذه الخطوة. وفي لبنان، حيث زاد الاستقطاب أكثر بعد انفجار مرفأ بيروت، يمكن

إدراج الجماعات التي تقدم الدعم غير المشروط للقضية الفلسطينية على أنها حزب الله، والجماعة الإسلامية، وحركة التوحيد، وجبهة العمل الإسلامي، وحزب التحرير وبعض السلفيين. ويتبين أن الاستجابة الاجتماعية لجماعات أخرى غير حزب الله لا تتجاوز 5 بالمئة. إضافة إلى ذلك، فإن الحليفين المهمين لحزب الله، حركة أمل والتيار الوطني الحر، يعارضان تورط الحركة في حرب في لبنان بسبب الظروف التي تمر بها البلاد. وفي لبنان، حيث تهيمن سياسات التكتل، يبدو أن حزب الله في حاجة ماسة إلى حلفائه لمواصلة إستراتيجية المقاومة.

ومع ذلك، وكنتيجة حتمية لذلك، فإن حقيقة أنه يتعين عليه تحمل بعض مشكلات حلفائه تجعل حزب الله يواجه معضلة الوضع الراهن في المشهد السياسي. ومما يدل على ذلك أن المشكلات التي واجهها مع التيار الوطني الحر، حليفه منذ ما يقرب من 20 عامًا، أصبحت أكثر إشكالية من أي وقت مضى.[30] من ناحية أخرى، بعد أن استهدفت «إسرائيل» بشكل مباشر مجمع القنصلية الإيرانية في دمشق، ظهر مرة أخرى أن حزب الله لم يكن تابعا تقليديًّا عاديًّا لإيران» ولكن لديه القدرة على تحديد كيفية الرد. إن قرار إيران بمهاجمة «إسرائيل» جاء بسبب رغبتها في عدم فقد قدرتها على الردع، ولكن ميلها إلى عدم تحويل ذلك إلى حرب إقليمية، أدى إلى احتمال أن يكون الرد على «إسرائيل» عبر الأراضي اللبنانية. لكن، مع الأخذ في الاعتبار الظروف المحلية للبنان، اعترض حزب الله على تنفيذ هذا الهجوم من لبنان ولم يسمح للحرب ضد «إسرائيل» بالخروج عن سيطرته. لذلك، لن يكون من الخطأ القول: إنه على الرغم من وصول التوتر بين إيران و»إسرائيل» إلى أعلى مستوياته في سياق حرب غزة، فإن حزب الله لم يتخذ قرارات غير عقلانية، بل على العكس من ذلك، فقد استخدم وكالته الخاصة في خلق إطار من الشرعية وإستراتيجية المقاومة.

خاتمة

من الواضح أن لإيران أهمية حاسمة فيما يتعلق بالمواقع التي حققها حزب الله في لبنان. ومن خلال تعزيز روابطه الأيديولوجية مع إيران من خلال الدعم السياسي والاقتصادي واللوجستي الذي يتلقاه من هذا البلد، حيث بنى حزب الله، إلى حد ما، علاقة تبعية. ومع ذلك، فإن هذه العلاقة بعيدة كل البعد عن كونها إطارًا أحاديّ البعد في شكل سلسلة من الأوامر. وفي واقع الأمر، ليس من الممكن وصف دور حزب الله في السياسة اللبنانية ببساطة بأنه «امتداد لإيران».[31] فمنذ تأسيسه، واصل حزب الله الحفاظ على علاقة ديناميكية مع إيران، وهذا مكّنه من إنشاء مساحة مستقلة لنفسه مع مرور الوقت.

وفي هذا السياق، أدى تعيين الشيخ محمد يزبك، إلى جانب زعيم حزب الله حسن نصر الله، ممثلين دينيين في لبنان من قبل الولي الفقيه آية الله علي خامنئي عام 1995، إلى خلق آلية عمل حظيت فيها الحركة بمزيد من الحرية في شؤونها الداخلية.[32] مكّن هذا النمط من العلاقة، الذي يخلق مساحة لوكالة حزب الله، من قبول الحركة عاملاً لا يستهان به في السياسة اللبنانية، مع منع المساس بهويتها «اللبنانية»، على الرغم من كل اتهامات خصومها.

ومع ذلك، فإن هذا النهج، الذي يُعَدّ مستدامًا في السياسة الداخلية في ظل الظروف اللبنانية، يواجه بعض العوائق عندما يتعلق الأمر بإستراتيجية إيران الإقليمية. فإيران، التي تُعَدّ المحدد الرئيس للمعادلة الإستراتيجية الكبرى، بتوقيعها قرارات ملزمة لحزب الله، كما في حالة الحرب الأهلية السورية، يمكن أن تضيق بشكل كبير مساحة استقلالية الحركة فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية. وبطبيعة الحال، هذا لا يعني أن حزب الله هو المنفذ السلبي في أثناء تطوير الإستراتيجيات الإقليمية. لكن الحقيقة أيضًا هي أنه في حالة وجود تعارض بين المعادلة المحلية والظرف الإقليمي، لا يستطيع حزب الله أن يعترض بسهولة على إيران، على عكس موقفه في السياسة الداخلية في لبنان. لذلك، لن يكون من الخطأ القول: إن هناك احتمالاً ضعيفًا بأن يواجه حزب الله بعض المعضلات بين السياسات المحلية والإقليمية/العالمية على المدى الطويل. ومن ناحية أخرى، لا ينبغي تجاهل أن حزب الله يدرك هذا الخطر، ويحاول تنفيذ عملية قيادة أكثر حذرًا وديناميكية. وفي هذا السياق، أصبحت سياسة التوازن التي اتبعها حزب الله بعناية خلال مشاركته في حرب غزة بعد 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2023م واحدة من الأمثلة الملموسة لسياسة حزب الله المتمثلة في الجمع بين السياسة المحلية وإستراتيجية «محور المقاومة» الإقليمية لإيران معًا في خط دقيق. ويمكن قراءة ذلك على أنه نذير بأن حزب الله سينتج خطابات وأفعالاً جديدة فيما يتعلق بالمعضلة المحلية الإقليمية في المستقبل.

الهوامش والمراجع

1. Eitan Azani, **Hezbollah: The Story of the Party of God: From Revolution to Institutionalization**, New York: Palgrave Macmillan, 2009, s. 49.

2. Joseph Daher, **Hezbollah: The Political Economy of Lebanon's Party of God**, Londra: Pluto Press, 2016, s. 26.

3. Joseph Elie Alagha, **The Shifts in Hizbullah's Ideology: Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program**, Amsterdam: Amsterdam University Press, 2006, s. 33-34.

4. Amal Saad-Ghorayeb, "Factors Conducive to the Politicization of the Lebanese Shiʿa and The Emergence of Ḥizbuʾllah", **Journal of Islamic Studies**, Cilt Nu. 14, Sayı. 3, (Eylül 2003), s. 306.

5. Alagha, *The Shifts in Hizbullah's Ideology*, 13.

6. Alagha, *The Shifts in Hizbullah's Ideology*, 191.

7. Azani, Hezbollah: The Story of the Party of God, 56.

8. Joshua L. Gleis ve Benedetta Berti, **Hezbollah and Hamas: A Comparative Study**, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2012, s. 36.

9. وكان التحضير لعملية الاحتلال هذه هي عملية الليطاني، التي استهدفت الفدائيين الفلسطينيين في جنوب لبنان في عام 1978. لذلك، دخل العامل الإسرائيلي المعادلة فعليا في عام 1978. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن بنية المقاومة لدى الشيعة ظهرت في عام 1982، وليس في عام 1978. وبحسب سعد غريب، فإن أسباب ذلك هي أنه في عام 1978، لم تكن هناك حاجة لأي تنظيم مقاومة بين الشيعة في جنوب لبنان بسبب فصائل المقاومة الفلسطينية الفاعلة، ولم تكن الثورة الإسلامية في إيران قد حدثت بعد في تلك السنوات. للمزيد: أمل سعد غريب، حزب الله: السياسة والدين، لندن: مطبعة بلوتو، 2002، ص 10.

10. Adham Saouli, **Hezbollah: Socialisation and its Tragic Ironies**, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2019, s. 60.

11. Naem Qassam, **Hizbullah: Bir Hareketin Anlatılmamış Öyküsü**, İstanbul: Kesit Yayınları, 2006, s. 22-23.

12. Alagha, *The Shifts in Hizbullah's Ideology*, 33-35.

13. Zinat Hassan, "Regional Geopolitical Conflict and the Fragile State: Foreign Influence and Lebanon's Sovereignty," Iyad Muhsen AlDajani ve Martin Leiner (Ed.), **Reconciliation, Heritage and Social Inclusion in the Middle East and North Africa** içinde (443-462), Cham: Springer, 2022.

14. Marc R. DeVore ve Armin B. Stähli, "Explaining Hezbollah's Effectiveness: Internal and External Determinants of the Rise of Violent Non-State Actors", **Terrorism and Political Violence**, Cilt Nu. 27, Sayı. 2, (2015), 332-336.

15. DeVore ve Stähli, "Explaining Hezbollah's Effectiveness," s. 350-352.

16. Ahmad Nizar Hamzeh, **In the Path of Hizbullah**, Syracuse, New York: Syracuse University Press, 2004, 63-64.

17. Gleis ve Berti, *Hezbollah and Hamas: A Comparative Study*, 69.

18. "Iranian Involvement with Terrorism in Lebanon", **Central Intelligence Agency**, 26 Haziran 1985.

19. Marc R. DeVore, "Exploring the Iran-Hezbollah Relationship: A Case Study of How State Sponsorship Affects Terrorist Group Decision-Making", **Perspectives on Terrorism**, Cilt Nu. 6, Sayı. 4/5, (2012), 93.

20. Rola El Husseini, "Hezbollah and the Axis of Refusal: Hamas, Iran and Syria", **Third World Quarterly**, Cilt Nu. 31, Sayı. 5, (2010), 809-810.

21. Saouli, *Hezbollah: Socialisation and Its Tragic Ironies*, 150.

22. Saouli, *Hezbollah: Socialisation and Its Tragic Ironies*, 151.

23. El Husseini, "Hezbollah and the Axis of Refusal", s. 811-812.

24. Samantha May, "The Rise of the "Resistance Axis": Hezbollah and the Legacy of the Taif Agreement", **Nationalism and Ethnic Politics**, Cilt Nu. 25, Sayı. 1, (2019), 122-125.

25. Hizbullah milletvekili Hasan İzzeddin ile kişisel görüşme, Lübnan, 20 Mayıs 2023.

26. Joseph Alagha, "Hizbullah's Infitah: A Post-Islamist Turn?", Asef Bayat (Ed.) **Post-Islamism: The Changing Faces of Political Islam** içinde (240-256), New York: Oxford University Press, 247.

27. "Report: Hezbollah mediated release of Lebanese 'spy' held in Iran", *Middle East Monitor*, 11 Haziran 2019.

28. Matthew Levitt, "Hezbollah's Regional Activities in Support of Iran's Proxy Networks", **The Middle East Institute**, (Temmuz 2021), 22.

29. "Lübnan'daki "Suriye işgaline" direnen Samir Caca: Liman patlamasının maliyeti 70 milyar dolar", *Independent Türkçe*, 5 Ağustos 2023.

30. Selman Büyükkara, "Şii Hizbullah ve Maruni Özgür Yurtsever Hareket Arasındaki İktidar İttifakı Üzerine Bir İnceleme", *AlSharq Forum*, 1 Aralık 2021.

31. Nail Elhan, "Hizbullah-İran İlişkileri", *İRAM*, Şubat 2019, s. 14.

32. Joseph Alagha, "Hizbullah'ın İnfitahı (Açılım Politikası): Post-İslamcı Bir Dönüş Mü?", Asef Bayat (Ed.), **Post-İslamcılık: Siyasi İslam'ın Değişen Yüzü** içinde (321-340), İstanbul: Litera Yayıncılık, 2016, 329.

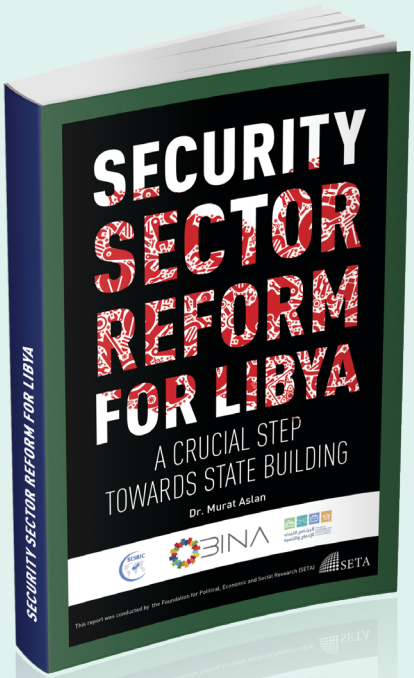

Security Sector Reform For Libya | A Crucial Step Towards State Building

October 2020 | Dr. Murat Aslan

The slogan and aim of the research are to determine the basics of the security sector reform to have an inclusive and capable security architecture for a united Libya under civilian and democratic control.

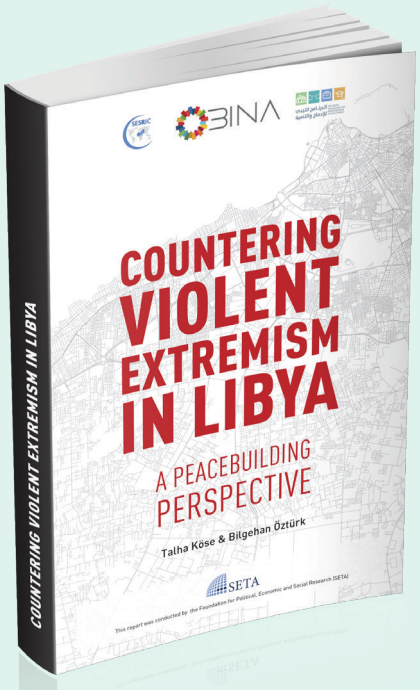

Countering Violent Extremism in Libya | A Peacebuilding Perspective

October 2020 | Talha Köse & Bilgehan Öztürk

The purpose of this report is to offer policy guidelines that may have a practical impact in the field of Countering Violent Extremism (CVE) specifically in the Libyan context.

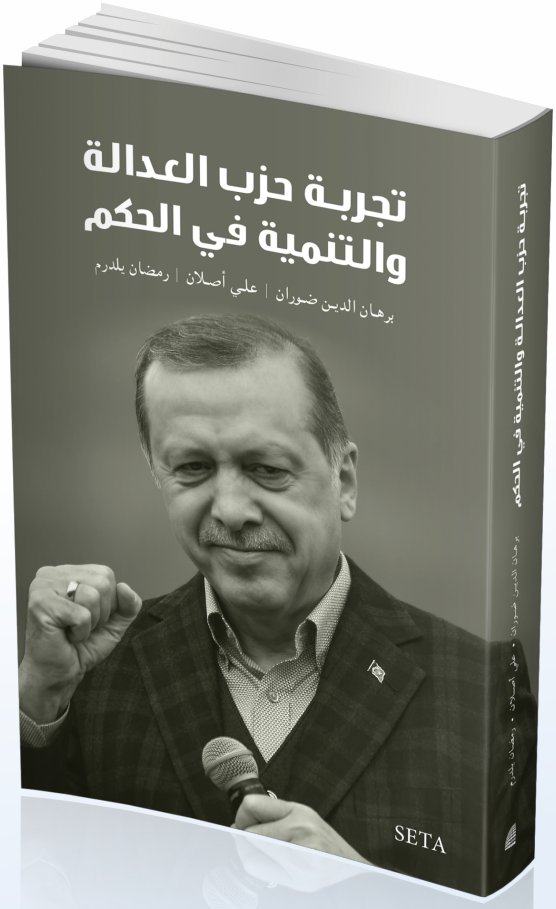

تجربة
حزب العدالة والتنمية في الحكم

برهان الدين ضوران
علي أصلان – رمضان يلدرم

setavakfi setav setavakfi
www.setav.org • kitap@setav.org
+90 (212) 395 11 00

SETA